التمرد والعبث في شعر عدنان الصائغ

– نماذج مختارة من شعره –

تبارك حميد حسين التميمي أ.م.د.رفل حسن طه الطائي

جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية – قسم اللغة العربية

الخلاصة

إن التمرد ظاهرة قديمة وجدت مع وجود الانسان بسبب طموحه الدائم في البحث عن الافضل وعيش حياة كريمة ، ولكنها اكتسبت بعداً ثورياً لدى الشعراء في كافة العصور وبالأخص في عصرنا الحديث لرهافة حسهم و احساسهم وتعبيرهم عن مطامح مجتمع كامل ، فتناولنا في هذا البحث(التمرد والعبث في شعر عدنان الصائغ نماذج مختارة من شعره)، لنبين أن التمرد ثمرة للأذى النفسي والمعاناة التي يعيشها الشاعر.

فنجد أن الصائغ قد تمرد على نواقص المجتمع و كل من كان له اليد في افساد حياتهم بالأخص السلطات السياسية والدينية فجاء تمرده واضحاً ، معبراً ، مثقلاً بالهم والحزن الذي جُبل به داخله ، والذي تطور بسبب بقاء الاسباب الداعية له ليصل إلى العبث ، وهو الترفع عن كل سلبيات الواقع ، بغية الخروج من وطأة الألم النفسي ، فعبث في اشعاره بصور عبرت عن عبثية الحياة واللاجدوى بنظره .

Conclusion

Rebellion is an ancient phenomenon found with the existence of man Because of his constant ambition to look for the best and live a decent life But it has acquired a revolutionary dimension among poets of all ages, especially in our modern times, for the delicacy of their sense, their sense and their expression of the aspirations of an entire society We discussed in this research (rebellion and tampering in the hair of Adnan's Al Sa'igh selected models of his hair), to show that the rebellion is the result of psychological harm and suffering suffered by the poet.

We find that the Al Sa'igh has rebelled against the shortcomings of society and everyone who had a hand in corrupting their lives, especially the political and religious authorities and his rebellion was clear, expressing Overburdened with the concern and sadness that has been built inside, which evolved because of the reasons behind him to reach absurdity, which is to rise above all the negatives of reality, in

order to get out of the weight of psychological pain, so he tampered with his pictures expressed the futility of life and futility in his eyes.

المقدمة

مواجهة الواقع والتمرد عليه لا يكون إلاّ بعد الضغوط المستمرة سياسياً واجتماعياً ودينياً ، وتمرد الشاعر على هذه الضغوط يكون بمثابة رد فعل قاطع تجاهها، رافضاً لها، " لان الادب تعبير والتعبير غاية مقصودة وغاية كافية " [١]،والفنان بعادته "انسان غير متلائم مع الواقع ، إنه إنسان ذاهل عن الحياة الواقعية ، عاجز عن التكيف مع مقتضياتها " [٢]. وعجزه عن التكيف مع الحياة الواقعية ،عندما تكون هذه الحياة قاصرة على ان تلبي الطموحات وتكون حجر عثرة في طريق ابنائها لبلوغ غاياتهم، ولكن بعد استمرار تمادي السلطات وسوء الاوضاع يترفع الشاعر عن الواقع عابثاً بكلماته معنوياً ولفظياً ،معبراً من خلال عبثيته عن عبثية الحياة واللاجدوى مخففاً من خلالها من وطأة الألم النفسي الذي انتابه.

فجاء هذا البحث بعنوان (العبث والتمرد في شعر عدنان الصائغ –نماذج مختارة من شعره–) ليبين ان التمرد ما هو الا ثمرة لتراكمات الأسى النفسي والرفض المجابه بعدم الاستجابة و أن العبث ما هو إلا صورة معبرة عن اضطراب الشاعر وخلجات روحه المتأزمة، ارتكز هذا البحث على عدد من المصادر اهمها ديوان الصائغ ، والانسان المتمرد ، والعبث في الشعر الجاهلي ثمرة للتمرد النفسي ، وقسم البحث إلى قسمين ، القسم الاول بينا فيه التمرد لغة واصطلاحاً ، و تمرد الصائغ من خلال نماذج شعرية من ديوانه ، اما القسم الثاني العبث تناول العبث في اللغة و الاصطلاح و عبثية الصائغ الشعرية التي عكست واقعه و نفسيته المضطربة .

١–التمرد لغة واصطلاحاً

التمرد بمعناه اللغوي كما جاء في لسان العرب ، " المارد العاتي، ومرد على الأمر بالضم يمرُد مروداً ومرادةً فهو مارد ومريد، وتمرَّد أقبل وعتا " [٣] ، و في المعجم الوجيز ، " تمرّد: عصى في عنادٍ وإصرار، ويقال تمرّد على قومه " [٤] ، فانعدام المساواة ، وتفشي الظلم السياسي والاجتماعي ، و خروج التدين عن اطاره الانساني، كل هذه العوامل تدعو الانسان للانفصال عن الواقع، ورفض الانتماء له والخضوع اليه ، وبالتالي التمرد عليه ، بغية التغيير، غالباً .

لان التمرد كما يرى الدكتور عز الدين اسماعيل وجه سلبي ، عندما يتوقف عند مجرد الرفض ، وإن المتمرد الحقيقي هو من يعرف بديل ما يرفض ، وأن الانسان لا يرفض رفضاً حقيقياً الا إذا كان يعرف بديلاً حقيقياً [٥] ، وهذا يعني أن يكون التمرد بعيداً عن التعصب و القناعات الشخصية البعيدة عن مصلحة المجتمع ، لأن " التمرد ليس عملاً ابداعياً يمارسه الفنان بقدر ما هو موقف وجودي يحاول أن يفهم العالم ككل ، وأن يشعل نوعاً من الجدل حول بعض جوانبه المعقدة التي تستعصي على الفهم ، وهنا مناط الحركة في أدب التمرد" [٦] .

فالشاعر المتمرد يؤمن بالتغيير الحقيقي اولاً ، ويعمل من أجل هذا التغيير من خلال رفضه للواقع و التمرد عليه ، بكتاباته التي تعد دافعاً ثورياً لشعب مضطهد في أبسط حقوقه للعيش بسلام ،فوظيفة الادب كما

يرى الدكتور محمد مندور ، تتمثل في تمهيده للثورات من حيث أنه نقد للحياة [٧] ،و الشاعر بتمرده يمثل نموذجاً لجماعة أدركت ضرورة التغيير ،لأنه جزء منهم فهو الداعم والصوت الحر لهم .

وطبيعة المجتمع الذي عاش فيه الصائغ ، (سياسياً ،اجتماعياً ودينياً) ، و هذه السلسلة التي لم تكن الا مرآة يعكس بعضها بعضاً بعيوبها وتسلطها وسيادة الظلم والقمع ومصادرة الحريات فيها ، فكان نتيجتها الرفض ، ولكن بعد الرفض المستمر وعدم جدوى تغيير الحال وتحسين الوضع ينتقل الشاعر إلى أسلوب أكثر حدة وهجومية وهو التمرد على كل هذه النواقص. محاولاً لفت الانتباه لها بغية تغييرها وخلق بيئة جديدة تضمن حرية المواطن للعيش بكرامة ، ويتخذ الصائغ عدة اساليب لتمرده منها السخرية ، فيسخر من هذه النواقص متمرداً عليها لافتاً انتباه القارئ لها ، قصد تغييرها ،والثورة على اسبابها .

فكانت بواعث التمرد عنده منقسمة بين دوافع نفسية ،تمثل الجماعة التي ينتمي اليها ومعاناتها في ظل سلطة ترفض الحرية العقائدية و الانتماءات الحزبية وتعدها جريمة ، تجابه بأبشع اساليب التعذيب ، وهي انتماءه إلى الحزب الشيوعي المعارض الذي خلق في داخله هذه الروح المتمردة ، هذا من جانب ومن جانب اخر ، استمرار الظلم والجوع و الطبقية ، وتسلّط ازلام السلطة وتمادي سماسرة الدين و رضوخ الشعب واستسلامهم مقابل كل ما يرتكب بحقهم كل هذه العوامل كانت سبباً في بث الروح المتمردة في شعره محاولاً خلق ثورة داخل شعره اولاً ومحفزة للشعب ثانياً ،تناولها بأسلوب ساخر، والذي يعـــــــد من انجع اســـــــاليب لفت الانتـــــــــباه واستنهاض الهمم .

ففي نص له يتسم بالمفارقة الساخرة ، والتمرد الواضح الذي لا التواء فيه ،من البلد الذي يطفو على بحر من النفط ، بينما شعبه يعاني من الفقر المدقع والعوز ، عبر عنها بأسلوب واضح و صور يومية تمثل او تعكس الواقع في تلك الحقبة ، لان " النص في جوهره مبني لكي يكون جزءاً من الموسوعة التي افرزته ،ولكنه منفتح لكي يكون قادراً على استيعاب الكثير من المعاني التي ستحتضن حالات تلقيه استقبالاً " [٨]

يقول:

تمدّدتُ على يَطَغِي المبتلِّ بماءِ المطرِ الأسودِ من دُخَّانِ الآبارِ المحروقةِ، مختنقاً، أسعلُ نفطاً.. اسعلْ اسعلْ اسعلْ..... وتدافعْ في الطابورِ لكي تشري نفطاً. الأحلامُ ملاعقُ من ذهبٍ كي تأكلَ بالمجانِ.. وأمكَ ما زالتْ تبحثُ في البرميلِ الفارغِ عن فضلةِ نفطٍ للفانوسِ...

سلاماً بلدَ النفطِ،

حروبَ النفطِ،

ملوكَ النفطِ،

خراءَ النفطِ،

بغاءَ النفطِ..... [٩]

ويُظهر تمرده على السبب الاول في فقرهم وتشردهم وسبب النزاعات الدائمة ، (النفط) الذي لم يرو منه سوى دخان الآبار ،هذه المفردة التي استعملها الصائغ ببعدين تعبيريين متضادين ، بين الغنى و الفقر ، سعال النفط يدل على كثرة الثروات التي تنعم بها بلادهم ، والسعال هذه الكلمة التي تدل على المرض وسوء الحال عبر من خلالها على كثرة الهم و المرض والحروب التي خيمت عليهم بسببه ، بينما خيراته ينعم بها المتنفذون واصحاب السلطة ،و من خلال تكرار لفظة (النفط) وكأن كل ما ذكره اصابع اتهام تشير نحو(النفط) فالحروب بسببه و تعاقب الملوك بسببه ، ويتدنى إلى استعمال الفاظ سوقية بغية ايصال الحالة الشعورية إلى المتلقي ناتجة عن شدة غضبه وتمرده .

والسخرية في هذا النص تكمن في المفارقة بين ماهم فيه و ما تتمتع به بلادهم من خيرات ، تدافعهم في الطوابير للحصول على نفط ،والفانوس الذي اضحى الشمعة التي تنير حياتهم والتي تنطفئ في أي لحظة عندما لا تجد من يرمق حياتها بنفط في بلد يطفو على النفط ! .

وكذلك في لغته التي تزداد حدَّة وتمرداً في بعض الفاظها كـــ (خراء النفط ، بغاء النفط) فلجؤوه إلى ايراد الفاظ سوقية بذيئة دلالة ظاهرة على شدة غضبه على واقع ليس كما يتمنى ، ومعبراً عن سخطه و سخريته من تلك المفارقة الأليمة التي يعيشها هو وابناء شعبه .

و في نص آخر من نشيد اوروك نرى الصائغ يتمرد بأسلوب ساخر على ازلام السلطة ويصفهم ب (الاغنام ، الجلادون)، هذا التمرد بالألفاظ على سلطة محرم المساس بشرعيتها ، لم يكن إلا نتيجة الكبت النفسي الذي لازمة نتيجة افعالهم ، من تسلّط و قمع ، وحروب كان الشعب ومنه الشاعر حطبها ، يقول :

لا شيءَ برؤوسِ قطيعِ الأغنامِ سوى القَشِّ

همُ حلقوا رأسي كي أتقن دوري في اليَسْ يَمْ، يَسْ يَمْ... سأعضُّ على أعقابِ بنادقكمْ يا جَلَّادون... أنا متلافُ الكلماتِ. سأبصقُ مبتهجاً، وأغادركمْ، جلفاً، لا أعجبكمْ..... ستسيلُ من السمنةِ أشعاركمُ في الطرقاتِ، ولكنْ هل يحملُكمْ هذا الحبلُ غداً.... مَنْ يضحكُ لمْ يسمعْ بعدُ الأخبارَ المفجوعةَ.... (١٠)

ونراه يستعمل الفاظاً يشير من خلالها إلى حقبة زمنية معينة ، كان فيها اتقان (اليس يم) اولى اولوياتهم ، الكلمة التي تختصر بنظرهم الولاء للحكام و الوطن ، والتي مثلت خاصية الانتماء؛ هذه الخاصية التي "تتميز بها القصيدة الجيدة فهنالك دائماً الحبل السري الذي يربط بين القصيدة وشيء ما في عالمنا " (١١)، فكانت كلماته اللاحقة تمثل أعلى مرحلة من مراحل التمرد على السياسة الرعناء التي جرت الشعب في دهاليز العنف ، فيبصق على سياستهم ويعلن تبرأته من افعالهم بكلماته المتدفقة ، وشاعريته المتهيجة والمتشنجة ،فلغته لغة انتقامية فيها نوع من التهديد والقوة ، فقد أخذ تمرده هنا سمة القوة والتهديد من خلال ملكته الشعرية (سأعض على اعقاب بنادقكم يا جلادون) فهو (متلاف الكلمات)أي متمكن من لغته والكيفية التي يحقق بها غايته في مختلف الصور الكلامية ، وهو شاعر حرٌّ ثائرٌ لا تعجبهم جرأته وصراحته وقد وسم نفسه ب (الجلف) ويتضح ذلك التهديد بقوله : (من يضحك لم يسمع بعدُ الاخبار المفجوعة ....) ،وبأسلوب ساخر مبطن بالتهديد يقول لهم بأن سمنتكم المبنية على ضعفنا وخورنا واستلاب حقوقنا ستكون

السبب في سرعة موتكم حينما تعلقون على مشانق الحق والانتقام (هل يحملكم هذا الحبل غداً)في اشارات وكنايات حكمت لغة الشاعر التي يستطيع من خلالها خلق ثورة ، ترفض الظلم والجوع .

وبسرد قصصي ،الذي يعد من انجع الاساليب الأدبية في استجلاء صور الحياة الاجتماعية بكل تفصيلاتها ،بأسلوب فني يجذب اهتمام القارئ ويثير انتباهه [١٢] ، يظهر الصائغ امتعاضه وتمرده من الثروات التي لم نجنِ منها سوى الهم ، فكان خيرها للسلطات فقط ، اعيادها لهم ولنا الاطلاقات التي تمزق احلامنا وكلماتنا الرافضة ،يقول في نص مقتطع من قصيدته المطولة (نشيد اوروك):

بعيدِ التأميمِ التاسعَ عشرَ وجدتُ صديقي ذا الكَتِفِ المائلِ من حملي، يسخرُ منّي

وأنا أتدافعُ في طابورِ التنكاتِ الممتدِّ.... الخ...

(اسخرْ، اسخرْ

ما أنتَ إذا لمْ تُطلِقْ

في إستِ العالم

سُخريَّتَكَ المرّةَ....

صحتُ:

سلاماً يا وطنَ النفطِ – الشهداءِ

سأصعدُ هذي المرّةَ كَتفَ صديقي المائلَ

وسطَ هتافاتِ المحتشدين

وطابورِ الأحزابِ المتدافعِ،

أصعدُ من جهةِ الكَتِفِ الأخرى

وأبولُ على.....]

.....

..... [١٣]

يسخر بمرارة (متمرداً) على واقع يعيشونه ، في ظل بلد يغص بالثروات ، ويفتقد ابناؤه لأبسط الحاجات ، بلد مليء بالتناقضات والمفارقات ، يوظف الالفاظ الشعبية (التنكات)* محاولاً ايصال الصورة الأليمة التي عانوا منها مؤطراً إياها بهذه الالفاظ لتكون قريبة من القارئ ، بغية المشاركة الوجدانية معه ، ولأن قراءة النص لا يمكن أن تتم دون استحضار مواقف سابقة وهي حاصل تربية وانتماء وتثقيف [١٤] ، فيبين الصائغ ان الوضع الذي اضحوا فيه لا تليق به سوى السخرية بعد ان يئسوا من اصلاحه ، فيصرخ متمرداً بأسلوب ساخر من بلد النفط والشهداء ، تلك الثنائية المرة ، المبنية على التناقض والمفارقة .

والكتف المائل لصديقه إشارة إلى مشاركة الحزن والهم بين ابناء الشعب و كثرة الانتظار من أجل التغيير ولكن تأخر هذا التغيير اوصله للتمرد الذي جعل منه انساناً لا يأبه ولا يخاف شيئاً يصعد على كتف صديقه ليبول على ..... مستعملاً نقاط تدل على الحذف الذي يعد " استراتيجية حاذقة تتوخى الشعر في الكتابة في الوقت الذي تبني فيه جداراً من الصمت حيثما تجلّى الخطر ، وعلاوة على ذلك يمثل هذا الحذف او هذه الاستراتيجية آلية دفاع تجبر النص على الصمت حيثما يتجلى الخطر " [١٥] ، يبول على كل هذه المفارقات ، على السلطة على الثروات التي باتت في بطونهم ، على المتطامنين ، الراضخين ، الراضين بالذل . والتي عبر عنها بنقاط الحذف خوفاً من الافصاح عنها ، أو امعاناً في السخرية منهم وتحقيرهم .

ونرى الصائغ يحاول بتكراره لفكرة التناقض بين ما يعيشونه وبين بلادهم التي تنعم بالثروات ، لفت انتباه الشعب لاستنهاض الهمم و الثورة بوجه الظلم و الطبقية.

ففي نص آخر نرى الصائغ يواصل تمرده على ما وصلنا اليه بسبب السياسة التعيسة الظالمة و رضوخ الشعب ، واستسلامه يقول :

إنَّها المهزلةْ

أنْ أرى ما أرى:

بلاداً تُجرُّ إلى المِقْصَلَةْ

وعرشاً تسلَّقهُ السفلةْ

وليلاً يطولُ وما أطولَهْ

وشعباً يَئِنُّ ولا ربَّ لهْ[١٦]

فنراه يبتدأ نصه بمفرده تدل على الوضع الذي اضحى فيه شعبه وهو وضع لا يليق معه سوى السخرية ، بلاداً انهكوها حروباً ، واستمراراً في التقاتل من أجل كرسي الحكم الذي ارجع البلاد سنيناً إلى الوراء ، وشعباً راضخاً مستسلماً ، مكتفياً بالأنين ،معبراً من خلاله(أنينه) عن رفضه للواقع، يدعو الله أن يزيح عنهم ، شعب ساذج لا يملك شجاعة الثائرين الراغبين بتغيير الحال وأن كلف الأمر حياتهم ، معبراً عن سذاجة عقولهم التي اوصلتهم إلى هذا الخراب .

وفي نص اخر نرى تمرد الصائغ واضحاً على ما عاشه الشعب من جراحات خلفت الكثير من الأسى النفسي والجسدي ، من خلال توظيفه للألفاظ المعبرة (أكفـــــر) يقول :

سأكفرُ بالدمِ إنْ خثَّرتهُ السنونْ،

فسدَّ طريقَ جراحاتِنا الماردةْ

وأكفرُ بالشِعرِ

إنْ لمْ يزلزلْ عروشَ الطغاةِ

ويرسمُ في ريشةِ الفجرِ أحلامَنا الواعدةْ[١٧]

بأسلوب ثوري مندفع يرسم الصائغ صورة رائعة للثورة العارمة التي لا تعرف المهادنة على سبيل جراحات الثائرين ، ويظهر تمرده في اوضح صورة من خلال مفردة (أكفر) ، سيكفر بالدم إن لم يكن حاراً

متدفقاً ، وبالشعر إن لم يزلزل عروش الطغاة ، وكأنه يريد منَّا أن تبقى هذه الدماء حاضرة في قلوبنا واذهاننا لتكون دافعنا للتغيير ،و لتكون معكم ثورتنا فهذه الجراح التي يجب أن لا تضمد أو تُنسى فهي المشعل الحقيقي للثورة والتغيير ، ثم ينتقل إلى الوظيفة الثورية الثانية التي – في نظره – التي ستكون الدافع الأقوى لتغيير الحال وهو الشعر الذي يكشف زيف السلطة و افعالهم و يُبقي جراحنا حاضرة في البال متدفقة ولتكون دافعاً ثورياً قوياً لتغيير الحال و بث حياة جديدة خالية من العنف ،لأن " التمرد يضع الثورة أمام مفردات الواقع وهي أي (هذه المفردات) ، في حال تفكك دائم نتيجة محاولة التمرد هز قواعدها هزاً اشرف بها على الانهيار " [١٨] .

يواصل الصائغ تمرده ضمن نص حافل بالتكرار بسبب ،مقدرة التكرار التعبيرية والتأثيرية ، وكونه مرتبطٌ ارتباطاً وثيقاً بالحالة الشعورية للمبدع أكثر من ارتباطه بالجوانب الايقاعية والبنائية النصية [١٩] ، و لأن " التكرار يُسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها ،لأنه ذو دلالة نفسية قيمة " [٢٠] من اجل ايصال رفضه القاطع لكل هذه المظاهر التي كانت سبباً في اكل حقنا ، ودفعنا في متاهات الحروب والجوع والعوز ، يقول :

أكفرُ بالثائرين يبيعون أنقاضَ ثوراتهم بالمزاداتِ

أكفرُ بالمتشاعرِ، بوق المديحِ، بسوق المزاداتِ

أكفر بالعاشقين يكيلون أشواقَهم بالملاعق أو بالمزاداتِ

أكفر بالعمرِ تحمِلُنا ريحُهُ للمزابلِ أو للمعاقلِ أو للمزاداتِ

أكفرُ بالنادبين أمامَ طلولِ التواريخِ

يبكون عصرَ المزاداتِ

أكفر،

أكفرُ، أكفرُ، أكفرُ،

أكفرُ، أكفرُ، أكفرُ، أكفرُ، أكفرُ،

أكفرُ، أكفرُ.....

..... [٢١]

مجتمع اكله الفساد من كل مفاصله فثار عليه الصائغ بكلماته المتمردة الرافضة ، من الثائرين الذين يبيعون ثورتهم لمن يدفع أكثر إلى المتملقين من الشعراء ، إلى إلى .... مجتمع يُباع ويُشترى ، يحكمه الطمع مجرد من القيم والمبادئ ، التي تجعل من الانسان كائناً حراً يثور ضد الظلم و الذل ، ثم يختتم هذا المقطع بتكرار متواتر ليكمل التكرار المتقطع الذي اردفه ب اسباب ليغني دلالة الرفض والتمرد التي وصل اليها، لان الغاية من التكرار ،هو تعميق الدلالة بفعل كثافة هذا التكرار الذي جاء ليؤكد المعنى [٢٢] ليغني دلالة رفضه المتمرد على كل هذه الآفات التي خلقت مجتمعاً معاقاً .

ثم ينتقل في تمرده ليكون أكثر جرأة ، ويصل للمساس بحرمة الخالق ظاهراً ، موجهاً للساسة باطناً ، يقول :

رباهُ لقدْ صَلَّيتُ وصمتُ وجعتُ العمرَ فماذا بعدُ البطنُ الجائعُ لا تملكُ آذاناً أحمِلُ مسطرةَ الجوعِ أَقِيسُ مساحاتِ الكفرِ بقلبِ الإنسانِ عجبتُ لِمَنْ لا يجدُ القوتَ لماذا لا يشهرُ سيفاً في وجهِ الطاغوتِ – الفاقةِ [٢٣]

يخاطب الله سبحانه وتعالى عن التزامه الديني ، مقابل شظف عيشه وفاقته ، معاتباً اياه على جوعه ، متعجباً ممن يعانون من الجوع والفقر المدقع لماذا لا يثورون من أجل عيش كريم كفله الباري لهم ،واصفاً رضوخهم واستسلامهم ب الكفر ، و يسمي الفاقة هنا الطاغوت اشارة إلى من هم السبب في وجودها ازلام السلطة واتباعها .

فنجد الصائغ هنا أقل جرأة في مواجهة السياسة ، على غير العادة ، فيواجه السياسة ، بوساطة الدين ، من خلال مخاطبته لله سبحانه بأسلوب ينم عن الاستسلام والتسليم ساخراً من جبنهم و رضوخهم .

وفي نص متمرد آخر جاء تحت عنوان (حساب) يخاطب الله سبحانه وتعالى في المضمار نفسه (الفاقة والعوز والجوع) يقول :

حساب

أَيّها الربُّ

افرشْ دفاترك

وسأفرش أمعائي

وتعال نتحاسبْ[٢٤]

فالصائغ من شدة معاناته وفقره وعوزه وكذلك شعبه يدخل في (عتاب جريء مع الله سبحانه وتعالى) ،دعاه إلى بسط العلاقة أو تبسيطها مع الله سبحانه وتعالى ، وهنا تكمن سخريته ،من خلال تساؤل حول إذا ما قام الله بمحاسبة الفقير المعوز الخاوي الامعاء من الجوع ،متمرداً على الله في دعوته إلى محاسبة الله سبحانه إذا ما قام بمحاسبة الجائع والفقير .

وبعد أن اصبح العنف جزءاً من المجتمع الذي ينتمي إليه نراه يتمرد عليه و كأنه يستفرغه بعد أن مُلئت روحه عنفاً ،فيبتدأ بالعنوان الذي جعله مفارقاً لأن المعروف أن الطلقة تُميت ولا تموت ، فجعله (موت طلقة) إشارة إلى أن كل مظاهر العنف و الحرب يمكن أن نقتلها بالحب والرحمة والسلام ، على اعتبار أن العنوان " مفتاح لفهم الدلالة الكلية للنص" [٢٥] ،و لأنه " منذ اللحظة التي يبدأ فيها الانسان المقهور بتحدي الموت والظفر عليه يكون قد قلب من الناحية النفسية الذاتية المحض معادلة التسلط ، أو الرضوخ ، وانتصر على ذاته مما يتيح لها الانتصار على قوى القهر فيما بعد " [٢٦] .

فيقول :

موت طلقة...

أَعْرِفُ أنَّ الطلقةَ

قاسيةٌ حدَّ اللعنةِ

ــ حين تمرُّ أمامَ الموضعِ.. ــ

لا ترحمُ...

لكنِّي...!

سأُغَنِّي – رغماً عنها –

موّالاً لــ "حسين نعمة"

وأمدُّ برأسي

.....

فبتمرده على الطلقة رمز القسوة والحرب والدمار فأنه يتمرد على كل ما تحمله من هذه المعاني فيجعل من فرحه وسعادته وشعره نداً لها ، وهو الندُّ الاقوى ، الذي من شأنه ان يميتها قهراً فبالحب والسلام والشعر والتسامح نقضي على الحرب والدمار وعلى كل اشكال العنف وهذا ما اراد الصائغ ايصاله في قصيدته هذه التي حملت روحاً متمردة عالية بنفس ساخر اتجاه الحرب والدمار ، ويكمل قائلاً :

أَعْرِفُ أنَّ الطلقةَ...

رعناءٌ حدَّ الموتِ

وميّتةُ القلب

لا ترحمُ – في الحربِ – أباها

لكنِّي...!

أسخرُ منها

وأمدُّ لساني – حين تمرُّ – بهزءٍ

أَتَحَدَّاها...

أنْ تغتالَ من القلبِ...

قصيدةَ حبٍّ...

ولدتْ – هذا الصبحَ –

بباب الموضع

أَتَحَدَّاها...

أنْ تمنعَ طيفَ امرأةٍ...

ينسلُّ إلى جفني المتعبِ

كلَّ مساءٍ

أَتَحَدَّاها...

أنْ تُسكتَ في غابةِ روحي

تغريدَ عصافيرِ الفجر[٢٧]

لقد لجأ الصائغ هذه المرة إلى التمرد الايجابي الذي نادراً ما يصادفنا في شعره ، فتمرده على الحروب والقسوة والدمار ، ومحاولة استبدال ذلك كله بالحب والسلام والدعوة إلى الحياة الهادئة ، كل ذلك يغاير نمط التمرد لديه .

ونجد في هذا النص دعوة صريحة من قبل الصائغ إلى الشعب للثورة وتغيير الحال وعدم الرضى بالذل .

وعلى الرغم من كل الخراب الذي اصبح جزءاً من واقعه نراه يتمرد عليه بلملمة اشلائه التي دمرتها الحروب والسير بوجهها شاتماً وساخراً من كل ما مرَّ معبراً عن رفضه لها وتمرده عليها يقول :

ومع ذلك سأُواصِلُ طوافي وقهقهاتي وشتائمي
عابراً وليس لي غير الأرصفةِ والسعالِ الطويلِ
ليس لي غير الحِبْرِ والسَلالمِ والأمطارِ
سائراً مثلَ جُندِيٍّ وحيدٍ
يجرُّ بين الأنقاضِ حياتَهُ الجريحةَ[٢٨]

يرسم صور معبرة عن الثمن الذي يدفعه جراء رفضه وتمرده على هكذا واقع ، وعن صعوبة انتشال نفسه من بين انقاض الحروب التي اخذت من روحه الكثير حتى اصبح مثقلاً بها ،انقاض نفسية متمردة كان لها تبعاتها التي استمرت والتي يحاول ان ينتشل نفسه من داخلها .

٢– العبث

وبعد تمرده على الألم وسخريته منه يصل إلى مرحلة اللامبالاة، ويعلن خروجه من اطار الألم والمعاناة استخفافاً ، فيعبث بكتاباته الشعرية ، فالعبث في اللغة "اللَّعب وبابه طَرِبَ " [٢٩] اما في الاصطلاح فهو "انعدام المعنى وراء السلوك الإنساني في العالم المعاصر الذي فقد كل عوامل الانسجام والتوافق " [٣٠] أو هو " حالة التخبط التي يعيشها الانسان بإزاء حركة العالم وقوانينه ،أو هو حالة التجاوز التي تهدف إلى اقامة نتائج مرضية لتساؤل الانسان وتحقيقها " [٣١] لأن الإنسان الذي يلجأ للعبث انما يخرج من وطأة الألم النفسي[٣٢] ،لأن " الألم النفسي يكون فردياً في التجربة العبثية " [٣٣] ، ففي قصيدة له بعنوان (هندسة) نراه عابثاً ساخراً من هموم الحياة من خلال تجاوزها في شعره ، فيكتب نصه بعيداً عن الحياة وهمومها ،مجرداً اياه من الافكار الثورية والتأملية التي يتسم بها الشعر الحديث ،يقول:

هندسة

تَرَبَّعَ المُرَبَّعُ
مُتنهِّداً
على أريكةِ الصفحةِ:
كان يمكنُني أنْ أمضي معَكَ إلى الأبدِ

أيّها المستقيمُ

لولا أنَّهم أغلقوا عليَّ أضلاعي [٣٤]

وفي نص عبثي اخر نراه يستعمل خاصية التكرار ، فيكرر كلمة مرَّ ومرَّت (٧٠) مرة، مازجاً بها الازمنة والامكنة والاشياء الحية بالجماد ، خالقاً من خلالها جواً عبثياً امتد على مدار (١٣)صفحة ، ادخل القارئ في دوامة الملل و التفتيش عن القصدية وراء هذا النص ، يقول :

مرَّ برموثيوس [٣٥] **يسألُ أين يسدّدُ فاتورةَ الكهرباءِ،**

الحطيئةُ ما بينهُ والغنى خطواتُ ليالٍ لعلقمةٍ[٣٦] ،

مرَّ عصرُ النطوفيِّ [٣٧] **في جسرِ سيِّد صادق**[٣٨] **يبحثُ عن عصرنا في كهوفِ الدناصيرِ،**

مرَّ فمُ العسقلانيِّ[٣٩] **في جانبِ البدرِ،**

مرَّ السويديُّ[٤٠] **يؤرّخُ بالشِعرِ لحيةَ والي المدينةِ،**

مرَّ الجبرتي[٤١] **مندهشاً**

في مدائنِ شدَّاد [٤٢] ،

مرّتْ رمالُ تهامة ،

خاتمُ جيكاز [٤٣] ،

بوصلةُ السفنِ الغارقاتِ أمام سدوم[٤٤] ،

العماليقُ [٤٥]

مرَّتْ غزالةُ،

مرَّ منشيوس[٤٦] **ممتعظاً،**

مرَّ هتلرُ في متحفِ الشمعِ مستعرضاً جندَهُ، [٤٧]

وهكذا يستمر الشاعر طويلاً في سرد اشرات إلى شخصيات واحداث تاريخية وغيرها، إذ جعل " العالم بأسره على هيئة اكداس مختلطة من الشظايا ،انسانية وغير انسانية " [٤٨] ،كما عبر نبيل راغب في كتابه ،موسوعة النظريات الأدبية .

وفي نص آخر نراه ينثر حروفه الخالية من المعنى على سطح الورقة بصورة عبثية ، حيث تنافر في الاصوات و الالفاظ ، ساخراً من فئة في المجتمع الساذج ، فئة السحرة و(فتاحين) الفال ،يقول :

بحقّكَ

بهياش طمّاش يطّاش اطشين طيّوش هيّهوش ياهوش بقشوش شيغاب سلعاس فنطاس شلياه بطميس دمليخ مشليخ دملاخ خيخاخ شمّاخ رمّاخ شنّاخ خيوخ بحباح بحّاح منفاح ملطاح حيّوم قيّوس طليوس طلسوم ديّوم ديموم ردّوا الغريبَ إلى أهلِهِ. قال ساحرُ هَطْمَهْطَلقيائيل

اخفقْ ثلاث بويضات ديك بزيت مرارة ثورٍ وعود من الزعفران وبخّرْ به ليلة السبت جسمك باسمك يا فور يا روث يا شوش يا موش يا شيط يا ميط يا خيم آخين شمعوط شبشوب أش أش أشياش كمش كمش كمروش كمروش اكمش اكمش اكمشوا على "....." عجّلوا عجّلوا باسم عطّوم ، فطّوم حَمْ حَمْ حَمْ حَمْ ناطور آلرْ آلرْ آلرْ آلرْ حمعيص جمعيص كشكش كشليخ ك ك س س ك ك x ز ز ب ب هــ هــ هــ هــ ا ا ا ا ا ء ء ء = ص ص ب ح ق ا ل س م ا و ا ت و ا ل ا ر ض أ ر ح م ن ا م ن ص د ا م ب ن ص ب ح هــ ب ا س م ك يا هــ م ا م ٣ يا قهّار يا مطّار الساعة ٢ الساعة ٢ الساعة العَجل العَجل ٢٢٢ ٥ ٥ ٥ ٥ ق ق ق باسمك دردياثيل ينقلبُ السوطُ أفعى ويلدغْ يدَ حاملهِ. ثم نقعْ بحيضِ فتاةٍ لها شامةٌ تحتَ سُرَّتِها العسليةِ هذا الحجابَ المُجابَ [٤٩] .

ويستمر الشاعر في سرد هذه الطلاسم التي لا معنى لها سوى الامعان في حالة العبث النفسي واللغوي التي لعبت بحال الشاعر، و يحاول الصائغ من خلال عبثيته ، ربطه بعبثية هذه الفئة الدجالة ، والتي تعد ظاهرة واضحة في مجتمعاتنا العربية .

الخاتمة

نخلص مما تقدم إلى ان التمرد ظاهرة قديمة وجدت مع وجود الانسان بسبب طموحه الدائم في البحث عن الافضل وعيش حياة كريمة ، ولكنها اكتسبت بعداً ثورياً لدى الشعراء في كافة العصور وبالأخص في عصرنا الحديث لرهافة حسهم و احساسهم وتعبيرهم عن مطامح مجتمع كامل ،احياناً ،انطلاقاً من قول البير كامو " انا اتمرد ،اذن نحن موجودون " [٥٠] ، فنجد الصائغ قد تمرد على كل من كان له يد في افساد حياتهم السياسة والدين و متعلقاتها ، فجاء تمرده السياسي في المقدمة كون السياسة السبب الاول في كل تناقضات المجتمع ، وافساده ، اما رفضه الديني كان عبارة عن تساؤلات ساخرة ورافضة ، يبطنها سياسياً اغلب الاحيان ، وتحمل بعداً اخر ، الا وهو انتماؤه للحزب الشيوعي وافكار هذا الحزب التي القت بظلالها على تمرده الديني ، ولكن كل ما ذكرنا من نصوص متمردة كانت كلها تصب في مضمار واحد وهو حلم العيش الكريم ، و استنهاض الهمم للثورة على من تسبب بكل هذا الالم ، وبعد تمرده ،جاءت مرحلة اخرى عبرت عن داخله ، كردة فعل ، يجابه بها سُخف العالم وهي العبث ،بأفكاره ، بكلماته ، بحروفه التي كانت منثورة على سطح الورقة دون ترتيب ، عبر من خلالها عن عبثية الحياة واللاجدوى التي استشفها من خلال تجاربه ، عابراً من خلالها بحار الألم .

الهوامش :

(١) الأدب و الاصلاح: ١١٦٥.
(٢) علم النفس والأدب:٢٤٨.
(٣) لسان العرب : ٣٦٩١/٤.
(٤) المعجم الوجيز:٥٧٧.
(٥) يُنظر: الشعر العربي المعاصر قضاياه و ظواهره الفنية والمعنوية:٤١١.

[٦]) ظواهر التمرد في الشعر العربي المعاصر:٧.
[٧]) يُنظر: نظرية الأدب عند محمد مندور:٤٧.
[٨]) سيميائيات النص مراتب المعنى:٢٦.
[٩]) الاعمال الشعرية:٥١٩/٢.
[١٠]) الاعمال الشعرية:٥٢٠/٢.
[١١]) في النقد التحليلي للقصيدة المعاصرة: ١٠٤ .
[١٢]) يُنظر : السرد القصصي في شعر ابي تمام: ١٩٨ .
[١٣])الاعمال الشعرية:٣٢١/٢.
*وعاء معدني يستخدم لملئ النفط من العربات الجوالة .
[١٤]) يُنظر : سيميائيات النص مراتب المعنى: ٢٦.
[١٥]) نشيد اوروك الحذف خوفاً ورقى العقارب .
[١٦]) الاعمال الشعرية: ٢١٦/١.
[١٧])الاعمال الشعرية: ٢/ ٢٥٩.
[١٨]) ظواهر التمرد في الشعر العربي المعاصر: ١٠ .
[١٩]) يُنظر:بنية التكرار في شعر ادونيس:٧٠ .
[٢٠]) قضايا الشعر المعاصر: ٢٤٢.
[٢١]) الاعمال الشعرية: ٣١٢/٢.
[٢٢])يُنظر :التكرار وانماطه في شعر عبد العزيز المقالح : ٢٧٠.
[٢٣]) الاعمال الشعرية: ٢٧٧/٢.
[٢٤]) الاعمال الشعرية: ١ / ٢٨٧.
[٢٥]) سيميائية العنوان في ديوان شظايا ورماد للشاعرة نازك الملائكة :١٥٧.
[٢٦]) التخلف الاجتماعي مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور:٥٥ .
[٢٧]) الاعمال الشعرية: ٣ / ٣١٩.
[٢٨]) الاعمال الشعرية: ١ / ٣٦٢.
[٢٩]) مختار الصحاح:٢٦٧ .
[٣٠]) موسوعة النظريات الأدبية : ٤٣٨ .
[٣١]) العبث في الشعر الجاهلي ثمرة للتمرد النفسي:٣٠٨ .
[٣٢]) يُنظر : م . ن : الصفحة نفسها .
[٣٣]) الانسان المتمرد: ٢٩ .
[٣٤]) الاعمال الشعرية:٢٨٨/١.
[٣٥]) " تروي الأسطورة اليونانية إن بروموثيوس سرق النار من الآلهة وأعطى علمها للبشر، فعاقبته الآلهة بأن ربطته فوق قِمَّة جبل وأوكلت به نسراً يأكل كبده، الذي يعود وينمو على الفور، فيعود لأكله وهكذا إلى الأبد " (م.ن :٢٩٦/٢ الهامش).
[٣٦]) " إشارة إلى قول الحطيئة حين بلغه نبأ وفاة علقمة بن علاثة وكان في الطريق إلى لقائه ومدحه تكسّباً: "وما كان بيني لو لقيتك سالماً/ وبين الغنى إلّا ليالٍ قلائلُ". (الاعمال الشعرية ،عدنان الصائغ :٢٩٦/٢ الهامش).
[٣٧]) " العصر النطوفي: منسوب الى وادي النطوف في فلسطين يعود إلى ٨٥٠٠ ق.م. ففي القدس والاراضي المجاورة لها ظهرت أعظم حضارة عرفها التاريخ البشري، انتقل فيها الإنسان من حياة القنص وجمع الثمار الى الزراعة" (م.ن :٢/ ٢٩٦ الهامش).
[٣٨]) " منطقة في كردستان العراق، تقع قريبة منها قرية "شيخ اوصال" التي بدأتُ في أحد اصطبلاتها المهجورة، كتابة هذا النشيد " (م.ن:٢٩٦/٢ الهامش).
[٣٩]) " إحالة إلى نص فريد للقاضي الفاضل البيساني العسقلاني شطره كلام لا وزن له عروضياً وعجزه من بحر الطويل: "وصل كتاب مولاي بعدما/ أصاب المنادي للصلاة فاعتما// فلما استقر لدي/ تجلى الذي من جانب البدر أظلما" (م.ن:٢٩٧/٢ الهامش).
[٤٠]) "من ديوان السويدي [مخطوطة عُرضتْ عليّ للتدقيق اللغوي قبل الطبع، من قبل دار الشؤون الثقافية حيثُ كنتُ أعمل موظّفاً، (بتأريخ ١١-١٢-١٩٩٠ أي قبل قصف بغداد بحوالي شهر، فتصوّر!!)] قال مهنئاً سليمان بك الشاوي ومؤرخاً اطلاق لحيته: "مولاي صبراً فأني بحادث الدهر أعبثْ/ مثل الغريق ولكن بلحيتي أتشبثْ/ لم أخلُ من خبث دهرٍ إلّا وقد جاء أخبثْ" (م.ن:٢٩٧/٢ الهامش).
[٤١]) "عبد الرحمن الجبرتي (١٧٥٤- ١٨٢٥) مؤرخ مصري، ولد بالقاهرة، وتعلم بالأزهر. شهد مقدم الحملة الفرنسية وأحداثها (١٧٩٨ - ١٨٠١) والصراع بين الولاة العثمانيين الذي انتهى بتولية محمد علي حكم مصر. يعد كتابه "عجائب الآثار في التراجم والأخبار"٨ مجلدات أعظم تواريخ مصر في القرنين ١٨ و١٩" (م.ن:٢٩٧/٢ الهامش).

([٤٢]) " بنى شدّاد بن عاد جنة لينافس بها جنة الله وهي أرم وحين أهلك الله قوم عاد اختفت ارم وظلت – كما يرد في المثيولوجيا العربية – تطوف وهي مستورة في الأرض لا يراها الإنسان إلا مرة واحدة كل أربعين عاماً، وسعيد من تفتح له بابها" .(م.ن:٢٩٧/٢ الهامش).

([٤٣]) " جيكاز الليدي: الذي بمساعدة خاتمه الذهبي ذي الفص السحري جعل نفسه غير منظور فتسلل إلى قصر الملك وقتله" .(م.ن:٢٩٧/٢ الهامش).

([٤٤]) "مجموعة قرى على شاطئ البحر الميت في الاردن، عاش فيها النبي لوط. عاث أهلها فسادا فعاقبهم الله كما تروى الكتب السماوية حيث امتلأت سماؤها بكتل النار الملتهبة، وتحولت زوجة لوط التي خانته إلى كتلة من الملح".(الاعمال الشعرية ، عدنان الصائغ :٢٩٨/٢ الهامش).

([٤٥]) "اسم أطلق على قبائل قديمة انقرضت. وقد أوردت بعض كتب التراث أخباراً عنهم تمتزج بالأساطير". (م.ن : ٢٩٨/٢ الهامش).

([٤٦]) "الفيلسوف الخطيب الذي قال للملك يانج: "ما دام أسلوب الحكم يُؤدّي ببعض رعاياه إلى أن يموتوا جوعاً فأن الملك يعد في الحقيقة قاتلاً"، وكان له رأي في الاقتصاد إذ يرى أنه له علاقة وثيقة بالأخلاق ويؤكد أن الشعب الجائع لا يمكن أن نتوقع منه أن يلتزم بالأخلاق". (م.ن :٢٩٨/٢الهامش).

([٤٧])الاعمال الشعرية: ٢٩٦/٢-٢٩٩.

([٤٨])موسوعة النظريات الأدبية :٤٣٩.

([٤٩]) الاعمال الشعرية: ٢/ ٣٤٨ .

([٥٠])الانسان المتمرد:٢٩.

المصادر والمراجع :

١. الأدب و الاصلاح ، عباس محمود العقاد ، مجلة الرسالة ، العدد(٤٢٩) ، القاهرة ، ٢٢ /سبتمبر /١٩٤١م ، السنة (٩).
٢. الأعمال الشعرية ، عدنان الصائغ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، لبنان ، والناشر المشترك ، دار سطور للنشر والتوزيع ، بغداد ، شارع المتنبي ، ط٢ ، ٢٠١٧م .
٣. الانسان المتمرد ، البير كامو ، ترجمة : نهاد رضا ، منشورات عويدان ، بيروت باريس ، ط٣ ، ١٩٨٣م.
٤. بنية التكرار في شعر ادونيس ،د. محمد مصطفى كلاب ، مجلة الجامعة الاسلامية للبحوث الانسانية ، المجلد (٢٣) ، العدد (١) .
٥. التخلف الاجتماعي مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور ، د. مصطفى حجازي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط٩ ، ٢٠٠٥م .
٦. التكرار وانماطه في شعر عبد العزيز المقالح ، نصر الله عباس حميد ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة ديالى ،مجلة ديالى ، العدد (٦٧).
٧. السرد القصصي في شعر ابي تمام ، د. سلام احمد خلف ،مجلة كلية الآداب ، العدد (١٠١) .
٨. سيميائيات النص مراتب المعنى ،سعيد بنكراد ، دار الامان ، الرباط ، ط١ ، ٢٠١٨م.
٩. سيميائية العنوان في ديوان شظايا ورماد للشاعرة نازك الملائكة ، د . لطيف يونس حمادي الطائي مجلة مداد الآداب ، عدد (١٢).
١٠. الشعر العربي المعاصر قضاياه و ظواهره الفنية والمعنوية ، د. عز الدين اسماعيل، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٧م .
١١. ظواهر التمرد في الشعر العربي المعاصر ، محمد احمد العزب ، كلية اللغة العربية ، قسم الأدب والنقد ، جامعة الأزهر (د.ت) .
١٢. العبث في الشعر الجاهلي ثمرة للتمرد النفسي ، د.محمد حسين ضو ، مجلة الجامعة الأسمرية ، العدد (١٦) ، السنة (٩) .
١٣. علم النفس والأدب ، د. سامي الدروبي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ،(د.ت).
١٤. في النقد التحليلي للقصيدة المعاصرة ، د. احمد درويش ، دار الشروق ، ط١ ، ١٩٩٦م .
١٥. قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ط٢ ، ١٩٦٥م.
١٦. لسان العرب ، ابن منظور ، تحقيق د. يوسف البقاعي ،ابراهيم شمس الدين ، نضال علي ، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ،ط١ ، ٢٠٠٥م
١٧. مختار الصحاح ، ابو بكر الرازي ،ضبط وتخريج وتعليق :د. مصطفى ديب البغا ، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ،ط٢ ، ١٩٨٧م. .
١٨. المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية ، وزارة التربية والتعليم ، مصر ، ١٩٩٤م.
١٩. موسوعة النظريات الأدبية ، د. نبيل راغب ، الشركة المصرية العالمية للنشر –لونجمان ،ط١ ،٢٠٠٣م .
٢٠. نشيد اوروك الحذف خوفاً ورقى العقارب ، د. حسن ناظم ، مجلة ضفاف ، العدد التاسع ، شباط /فبراير ، ٢٠٠٢م ، النمسا ، عدد خاص (الصائغ في مرايا الابداع والنقد).

٢١. نظرية الأدب عند محمد مندور، د. عبد العزيز خلوفة ، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية ، العدد الاول ، ديسمبر ٢٠١٣.